دراسة تحليليّة في مفهوم الحياة الطيّبة ومبادئها من منظور القرآن والروايات

السيّد الدكتور عبد الكريم حسن پور

باحث في التأريخ الاسلامي / أستاذ جامعي / إيران

ملخص البحث

إنّ الإنسان ككائنٍ حي، بجانب الحياة العادية التي يشترك فيها مع جميع الحيوانات، يتمتع أيضًا بإمكانية تحقيق حياة أعلى وأفضل، والتي يشير إليها القرآن باسم (حياة طيّبة). هذه الحياة الخاصة تعتمد على الإيمان والعمل الصالح، والتي هي النقطة المعاكسة للحياة السائدة في المجتمعات الغربية. لاستيلاء الحياة الطيبة على الحياة الغربية لا بدّ من معرفة المكونات لها والأسس الحاكمة عليها. إنّ تحليل الأسس التي تحكم مثل هذه الحياة من رؤية القرآن الكريم وأهل البيت ﷺ أمرٌ ضروريّ ومهم لمزيد من الفهم للحياة الطيبة وتحقيقها على أرض الواقع.

فالغرض من هذه الدراسة هو استكشاف مبادئ الحياة الطيبة من منظور القرآن الكريم، وتقديم تعريف لها، ثم بيان العوامل والمكونات الرئيسة لها من خلال الآيات والروايات؛ لأنّ معرفة هذه المبادئ والمكونات تسهل الطريق للسعي نحو حياةٍ طيّبة، والوصول إليها يجعل حياة الإنسان التائه في دوامة المشاكل، مليئةٌ بالمعنى والأمل، ويؤدّي إلى التغيير في منهج حياته، وفي نظره إلى العالم وكيفية تفاعله مع الله وباقي المخلوقات. اعتمدنا في منهج البحث على استخدام أسلوب الاستقراء فى جمع المعلومات، ثم التحليلي في تحليل البيانات المكتبية. تصل نتائج هذا البحث إلى حقيقة مهمة وهي إنّه يمكن سوق المجتمع الإسلامي نحو المعنوية والعدالة و الحق عن طريق اتباع أصول وضوابط معينة التي ما دامت جاريةً في المجتمع على مستويات مختلفة، فإنّ المجتمع يسير نحو السعادة والنجاة الحياة الطيبة وإنْ كان غير ذلك فينحرف المجتمع عن السعادة نحو الشقاوة والضلالة.

المقدّمة

تُعدّ الحياة الطيبة مفهومًا جوهريًا وأساسيًا في الشريعة الإسلامية، إذ تمثّل قاعدةً أخلاقيةً وروحيةً التي تغطي جميع المسائل والقيم من حياة الإنسان بشمولها الكامل. فيتطلّب فهم جميع جوانبها إجراء بحثٍ شاملٍ وواسعٍ من مختلف الجوانب الدينية والسياسية والعلمية والعملية.

الإيمان والعمل الصالح هما الشرطان الأساسيّان لتحقيق الحياة الطيبة. ولابدّ للإنسان أنْ يأتي بهذين الشرطين المبدئيين لوصله إلى هذه الحقيقة الإلهية، وأنْ يكون مؤهلًا لتلقى الأنوار الإلهية. الإيمان هو معرفة الله بالقلب، والعمل الصلاح هو الفعل الذي يتناسب مع الإيمان بوجود الخالق والمبدأ والمعاد.

ومن جانب آخر إنّ الحياة الطيبة والمفاهيم المرتبطة بها إضافةً إلى وجودها في التصريحات والإشارات القرآنية، نجد أنّ لها جذورًا في روايات الأئمّة المعصومين ﷺ، وآثار المفكرين الإسلاميين. فقد تم تسليط الضوء على هذا المفهوم تحت عنوانات مثل الرزق الحلال، والرزق اليومي، والقناعة، والعبادة المرتبطة بالرزق الحلال، والرضا بالقسمة، والتوفيق في طاعة الله، والسعادة، والجنة، ومعرفة الله، والإستغناء عن الخلق، وعدم الإعتماد إلا على الله[1].

وهناك نقطة مهمة لايمكن غض النظر عنها بأنّ تحقق المجتمع الصالح يعود الى الاستعداد المتوفّر عند آحاد المجتمع إلى الحياة الطيّبة. وتوضيح ذلك حيث كان استعدادًا اختياريًّا لدى كلّ فردٍ من افراد المجتمع لتحقيق مراتب الحياة الطيّبة، سيتم تحقيق هذا النوع من الاستعداد في مجمل المجتمع أيضًا. ونظرًا لما سبق ذكره، يكون الاهتمام بفهم الجانب الروحي للحياة فعّالًا في تنمية المواهب الفطرية للإنسان؛ لذلك يُشعر بالحاجة إلى التعرف على أبعاد الحياة الطيّبة وخصائصها ومبادئها، وكذلك استكشاف معناها من وجهة نظر دينية.

ولمّا كانت قيمة الحقيقية للإنسان تكمن بطريقةٍ ما في إطار هذا النوع من الحياة، يُطرح هذا السؤال الأساسي: ما هو مفهوم الحياة الطيّبة، وما هي القواعد والأبعاد والمبادئ التي تتضمنها، وما هي المستلزمات والعقبات التي تواجه تحقيق هذه الحياة الجديدة؟

ما يظهر في النصوص الإسلامية بشكلٍ واضحٍ أنَّ الحياة الطيّبة هي نوعٌ حقيقيٌ من الحياة وراء هذه الحياة الظاهرية. بالفعل، تعدّ الحياة الطيّبة ناتجةً عن ارتفاع مستوى الحياة الطبيعية للإنسان من خلال منحها الطابع الإلهي، وهي بحاجةٍ إلى إقامة علاقةٍ واعيةٍ واختياريةٍ مع حقيقة الكائن (الإيمان بالله تعالى)، وتعزيز العلاقة معه في جميع جوانب الحياة على أساس الإيمان (العمل الصالح).

كما يشير العلّامة الطباطبائي في تفسيره للآية الشريفة ٩٧ من سورة النحل إلى أنّ إعطاء الحياة الطيّبة وعدٌ جميل، وهي مظهر من مظاهر رحمة الله تعالى في هذه الدنيا ويشمل جميع جوانب حياة الأفراد والمجتمع الشخصية والاجتماعية لجميع الرجال والنساء المؤمنين الذين يعملون بالأعمال الصالحة، وثمرتها الطبيعية التي تظهر في الحياة الآخرة هي الجنة ورضا الله تعالى[٢].

إنّ الإنسان إذا كان بلا (الحياة الطيّبة)، يكون في رتبة الحيوانات الأخرى، وفي الواقع يعيش في دائرة الحياة الحيوانية. وأمّا الإنسان الذي يمتلك موهبة الحياة الطيّبة، على الرغم من أنّ ظواهر حركاته وأفعاله تكون مشابهة للآخرين، إلا أنّه يمتلك شعورًا وإرادةً تتفوق على البقية في حياتهم النباتية والحيوانية، بأنّه يتمتع بحياةٍ إنسانيةٍ نقية، ومن هذه الناحية، ما قد يؤرق أو يوجِّع الفاقدين للحياة الطيّبة، لا يسبب خوفًا أو حزنًا في نفسه؛ لأنّه شد حياته بجميع جوانبه إلى المبدأ الأبدي والأزلي فلا تخضع للتدمير أبدًا، ولا يتعرض لأيّ ضررٍ يؤثر على سعادته ونجاحه. ومن هذا المنطلق رغم وجود مشاكل مادية في الدنيا، حياة هذا الإنسان الذي يخضع لولايةٍ إلهيةٍ مليئةٍ بالحيوية والأمان والصحة واللذة والنجاح. وهي وعد الله الجميل والمبشر إلى جميع المؤمنين سواء كانوا رجالًا أم نساء، وهي سُنّة لا تتغير فيها بما يتعلق بحياة الإنسان الصالح؛ ولهذا فإنّ البحث في هذا النوع المتفوق من الحياة التي كانت هدف وغاية الأنبياء والرسل الإلهية والأولياء والصالحين، يصبح ضروريًا بنحوٍ مضاعف.

فيهدف هذا البحث إلى دراسة وتحليل أبعاد الحياة الطيّبة ومبادئها، مستندًا إلى الآيات القرآنية مع التركيز على قوله تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً**﴾، وروايات أهل البيت عليهم السلام.

١. بيان المسألة

مفهوم (الحياة الطيبة) هو أحد المفاهيم القرآنية. ورغم أنّ كلمتي (الحياة) و(الطيبة)، قد تكررت بشكلٍ منفصلٍ في القرآن عدّة مرات، إلا إنّ التركيب الوصفي(حياة طيبة) جاء في القرآن الكريم مرة واحدة فقط فى الآية ٩٧ من سورة النحل. في هذه الآية، تُعتبر حياة "طيبة" نوعًا من أنواع الحياة التي تُمنح للمؤمنين الصالحين بغض النظر عن كونه ذكرا أو أنثى.

في هذا البحث، نسعى إلى الغوص بتعمق في آيات القرآن وروايات أهل البيت (عليهم‌السلام)، الذين يُعتبرون المفسرين الحقيقيين للقرآن، وكذلك النقاط التي استفاد منها من حياة (طيبة)، والوصول إلى إجابات لهذه الأسئلة الرئيسية: ما هو طابع حياة "طيبة" من الناحية القرآنية والروايية؟ هل هذا النوع من الحياة (حياة طيبة) مخصص لفئة معينة من الناس أم يمكن لجميع البشر الاستفادة منه؟ هل تتحقق حياة طيبة في الدنيا أم في الآخرة؟ وما هي المبادئ والمكونات الأساسية لتحقيق حياة طيبة؟

٢. مفهوم الحياة الطيبة

يتكوّن هذا المصطلح (الحياة الطيبة) من جزئين رئيسين: (الحياة، والطيّبة). تعني كلمة (الحياة) ما يقابل الموت، وتشير إلى القوة الناشئة والحركة والإحساس والعمل، والازدهار والفرح بعد الحزن، والعيش المستدام، والإنسان العاقل والفهيم، والبقاء والحفاظ على الحياة، وإحياء الآخرين، والبقاء دائمًا[٣].

الحياة في منظور القرآن الكريم تشمل الحياة النباتية، والحيوانية، والبشرية. تعني الحياة في مقابل الموت، ومن آثارها الحركة والإحساس (مصطفوي، المجلد ٧، الصفحة ٣٧٦)، وهي خاصية في الكائن تكون مصدرًا للإدراك والنشاط[٤].

لكن الواقع هو أنّ تقديم تعريفٍ كاملٍ وشاملٍ لكلمة (حياة) والوصول إلى معناها الدقيق أمرٌ صعبٌ للغاية وربما يكون غير قابل للتحقيق. والتعاريف الموجودة التي تم تقديمها من جانب المفكرين والمؤلّفين لم تتجاوز توضيح الألفاظ والمصطلحات، وليست إلّا بعض الخصائص والسمات الظاهرية للحياة كما يلي:

يعرِّف أبو حيان التوحيدي الحياة بأنّها هي عامل الارتباط بين الحركة والإحساس والعقل والنمو والتكاثر وأنّها ضد الموت[٥].

إنّ ملّا صدرا، يعدّ وجودًا مميزًا للحياة ويعتقد أنّ الإدراك في حق معظم الحيوانات يتمثّل في الإحساس، بينما في حق الإنسان، يتم استكمال الحياة من خلال الإدراك الذي يتضمّن الإحساس إلى جانب الفعل. الفعل والإدراك ينبعان من قوتين، إحداهما هي القوة المدركة والأخرى هي قوة المحرّكة[٦].

من خلال رؤية الملّا صدرا، يمكن أنْ نفهم أنّ الحياة لها درجات، أي إنّها أمر تشكيكي والكائنات التي تتمتع بمزيد من خصائص الحياة يمكن تسميتها بأنّها حيّة بشكل أفضل. يعدّ في موضع آخر أنّ مستوى الحياة في أي موجود يعود إلى مدى ترتب آثاره الوجودية.

من وجهة نظر العلّامة الطباطبائي في رؤية عامة، تعني الحياة وضع شيء في حالة يترتب عليها الآثار المتوقعة من ذلك الظاهرة، والموت يقع في النقطة المقابلة لتلك الحالة. وبناءً على هذا الخصوص، أولًا يمكن لأيّ ظاهرة - حتى الأشياء الجامدة - أنْ تكون لها حياة، ثانيًا حياة كلّ واحدةٍ منها متميزة عن الأخرى. على سبيل المثال، حياة وجود الأرض تعني أنّها تكون خضراء وجميلة، وحياة الكلمة تعني وجود تأثير إيجابي على السامع، وحياة الإنسان تعني وجوده على الطريق الطبيعي لهدايته، مثل وجود عقل سليم وروح نقية. يظهر أنّ الأمثلة المذكورة تضع الموت في نقطةٍ مقابلةٍ للحياة[٧].

ويعرفها العلّامة محمد تقي الجعفري بأنّها إحساسٌ بالحركة والمتعة والألم وإنتاج الذرية والعثور على مكان للوجود[٨].

في تلخيص عام للآراء المذكورة حول الحياة، يمكن تعريفها بأنّها العامل المرتبط بالحركة والإحساس والإدراك، وتكون منشأً ومصدرًا للآثار الوجودية.

كلمة (طيّب) تأتي من جذر (طاب) وتعني النقاء والنظافة والجاذب والمحبوب وذات أخلاق حسنة[٩]. ويُستخدم (الطيب) أيضًا للإشارة إلى النقاء المادي والروحي من العيوب، والحلال والنقي، والخالي من الدنس والجهل والفسق والأعمال القبيحة. كما أنّه يستخدم

بمعنى الخير والنقاء، ويعدّ ضدًّا لمصطلح (الخبيث)[١٠].

في دراسةٍ تحليليةٍ للبحوث المنجزة حول مفهوم الحياة الطيبة، وجدنا مجموعةً متنوعةً من الدراسات، وقد اعتمدت كلّ واحدةٍ منها منهجًا واتجاهًا معينًا فيما يتعلق بالحياة الطيبة، ومكوناتها، وجوانبها. ومن هنا يظهر أنّ هذا الموضوع في المصادر الإسلامية يشمل طيفًا واسعًا من التعاريف والتعبيرات وتكوين المفاهيم، ويُظهر هذا التنوع أهمية فهم هذا المفهوم وضرورته.

قد فسّر الطبرسي (الحياة الطيّبة) بأنّها رزقٌ وعيشٌ حلال، وحياةٌ شريفةٌ تتميز بالقناعة والرضا، وجنةٌ جميلة، وحياةٌ سعيدةٌ هناك، وحياةٌ سعيدةٌ في البرزخ[١١].

يشير تفسير النصوص الدينية للإنسان إلى أنّه يمثّل تكاملًا من الجسم والروح، أو الفعل والمعنى، حيث يتم تجسيد ظاهرة الحياة في هاتين الساحتين وتمتد فيهما. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذين الجانبين من الحياة الإنسانية بوصفهما (الحياة الدنيا) و(الحياة الطيّبة)، من مظاهر الحياة الدنيوية والمادية التي يدركها الجميع، يمكن الإشارة إلى التغذية، والنمو، والتطور، والجهد، والتحول، والارتفاع، الذي في نهاية المطاف ينحدر إلى الضعف والزوال.

أمّا المقصود من (الحياة طيّبة) هو نوعٌ من الحياة الخفية وغير المحسوسة المتعلقة بالروح والجانب الروحي للإنسان، حيث يكون متحلّي بالنورانية للإيمان والعمل الصالح، والأخلاق الحميدة. إنّها البعد الروحي والمعنوي الذي يتحقّق عندما يكون الإنسان ملتزمًا بالأخلاق الحسنة التى تمهّد تحقيق اقترابه من الله.

في الفكر القرآني، تحمل الحياة معاني وأبعادًا أوسع ممّا يمكن للإنسان أنْ يدركه سطحيًّا. على سبيل المثال، إذا نظرنا إلي الحياة بشكلٍ سطحي، فإنّها تعني الحياة الدنيوية من لحظة الولادة حتى لحظة الموت، وهي مدّةٌ متزامنةٌ مع الوعي والإرادة الفعّالة التي يمكن العثور عليها أيضًا في الحيوانات. ومع ذلك، يتحدث الله سبحانه وتعالى عن شيءٍ أكثر من هذه الحياة الدنيوية، حيث يشير إلى وجود حياة أخرى للإنسان، والنتيجة المترتبة على ذلك هي تحقيق الكمال لوجود الإنسان وتحقيق الأغراض الروحية والمعنوية للإنسان بقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا**

الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لله وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾(١٢).

تشير هذه الآية بوضوح إلى وجود حياةٍ خاصّةٍ للأفراد الذين بالفعل يكونون أحياء، ومن المفهوم أنّ هذه الحياة والإحياء تكون ناتجةً عن استجابة دعوة الله ورسوله. إنّها حياة تختلف الحياة الروتينية والمألوفة للبشر.

كما أشار الشهيد مطهّري إلى الموضوع بقوله هذه: "إحدى الآيات التي قسّمت الناس إلى فئتين بشكلٍ رسمي، فئة الأحياء وفئة الأموات، وجعلت القرآن سبب الحياة وجعل النبي محييًا، أي معرفًا بالحياة والممنوح للحياة. إنّها آية قد تكون أوضح آيات القرآن في هذا السياق. تقول الآية إنّ هذا النبي قد أتى إليكم بالحياة وأنتم أموات في حياتكم"(١٣).

إنّ الإنسان الذي يتمتع بحياةٍ طيّبةٍ كهذه لا يرى سوى الخير والسعادة. عقله وإرادته تعمل في هذه الحياة على أفقٍ بعيدٍ عن متناول الآخرين، على الرغم من أنّ هذه الوقائع لا تظهر بوضوح لديهم؛ لذا يكون هذا الشعور والإرادة فوق شعور وإرادة الآخرين، ويتأتى ذلك من مصدرٍ لازم له، وهو حياةٌ طيّبةٌ للإنسان.

فالأشخاص الذين يمتلكون المعرفة والإيمان، والذين يعرفون ربّهم وينقطعون بشكل تام عن غيره، يمتلكون حياة تتجاوز حياة البشر العاديين. هؤلاء يفعلون أمورًا خارج إمكانيات وقدرات الآخرين، ويصرفون أمورًا يعجز الآخرون عن إرادتها. وقد أطلق الله تعالى على هذه الحياة اسم (حياة طيّبة) في القرآن الكريم. يقول الله: ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾(١٤).

وفوق ذلك، أكد الله للمؤمنين بأنّ لديهم روحًا خاصة، قائلًا: ﴿ **أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ** ﴾(١٥).

ويقول العلّامة الطباطبائي في إشارته إلى هذا الموضوع: "من الواضح أنّ قولنا إن للمؤمن حياة ونور آخر، ليس مجازًا واستعارةً، بل هو حقيقةٌ ووجودٌ حقيقي في الشخص المؤمن

التي لايمتكلها الآخرون، وهذه الحقيقة هي التي تكون أحقّ بتسمية الحياة بالنظر إلى الحقيقة الموجودة لدى الأخرين التى تسمّى بالحياة الحيوانية في مقابل الحياة النباتية"[١٦].

في بداية الآية ﴿ **وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ** ﴾[١٧] يتحدث الله عن الأشخاص الذين أعطاهم الله حياة خاصة ونورًا خاصًا، وفيما بعد في الآية يُخاطب الكافرين. يظهر من هذا التباين أن الكافر يُعتبر في ثقافة القرآن كالميت. يبدو أنه بسبب فقدان هذه الحياة العظيمة والنقية الروحانية، يُعتبر الكافر في القرآن الكريم كالميت.

التأمل في الآية الشريفة ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾[١٨]. يتضح أنّ الحياة الطيبة ليست مختصّةً بالآخرة، بل يمكن أنْ تتحقق في هذا العالم، حيث إنّ الإيمان والعمل الصالح يندرجان ضمن الأمور الروحية التي تتحقق في هذا العالم. وبشكل طبيعي، يتم تحقيق الحياة الطيّبة من خلال الإيمان والعمل الصالح في هذا العالم. ومع ذلك، تظهر آثار هذه الحياة الروحية في الآخرة، حيث يمنح الله من نعمه المعنوية لعباده في الآخرة. وتظهر نتائج نعم الحياة الروحية في هذا العالم، كما يتضح من خلال الآية الكريمة التي تتحدث عن جزاء الأعمال الصالحة في الآخرة بأفضل ما كانوا يعملون. هذا التعبير يظهر أنّ ثمار الأعمال الصالحة تتجلّى في الآخرة.

٣.سمات الحياه الطيبة من منظور القرآن والروايات

الحياة الطيّبة هي حياةٌ نقيةٌ وطاهرةٌ، يعدّها القرآن نابعةً من الوحي الإلهي، التي يمكن أنْ يحصل عليها الإنسان من خلال اتباع أوامر الله وابتعاد عن نواهيه. إنّ دعوة الأنبياء والرسل الإلهية والحياة المطلوبة والمثالية في الأديان الإلهية تتجسد في تحقيق الحياة الطيّبة التي تسعى إلى تطوير وتوجيه البشر، ويسير البشر فيها نحو الله بنور الإيمان وروح العبودية والخضوع. تتميز هذه الحياة بأنّها أشرف وأكمل من الحياة العادية والمادية، وأكبر قيمةً منها. ولا تحتوي على لهو ولعب، بل يتزين الجميع فيها بزينة الدين وروح الخلق الحسن، ويصبحون جميعًا فيها من طائفة الصالحين بفضل الأعمال الصالحة. يقول الله في القرآن الكريم: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ** ﴾[١٩]، أي أفضل في كل شيء، أفضل حياة، أفضل نعم، أفضل راحة، أفضل إحسانات الله[٢٠].

سنستعرض بعض السمات للحياة الطيبة في ما يلي:

١-٢. العقل والتفكير الديني: واحدٌ من خصوصيات التي تمهّد لتحقيق الحياة الطيّبة في الإنسان هي تحقيق الرفعة الروحية والمعنوية وتطوير العقل والفهم بطريقة دينية. العقل هو ركيزة أساسية مخبوءة في الإنسان وأساس شخصيته. كلّما جعل الإنسان هذه الركيزة متطوّرة، وصل إلى تحقيق الرفاه الروحي والحياة الطيّبة. قد ورد في حديث الإمام الصادق ﷺ ما مؤدّاه أنّ أساس شخصية الإنسان هو العقل، فالذكاء والفهم والذاكرة والمعرفة ينبعون من العقل. يكمّل العقل الإنسان ويوجهه ويكون مرشدًا ومفتاحًا لأموره. فمن يكون عقله مؤيدًا بنور إلهي، فإنّه يكون عالمًا وحافظًا وعاقلًا وفهيمًا؛ فلذا يعرف كيف ولماذا ومن أين ويستطيع التعرف على الخير والشر والانفصال والتمييز بينهما. وعندما يعرف ذلك، يكون مؤهلًا للاندماج والاعتراف بالولاء لأمر الله والانقياد له. ومن خلال هذا التحقيق، يستطيع تعويض الأمور المفقودة ويتسلط عليها ويستشعر من الوجود. يدرك من أين جاء وما هي الغاية من وجوده وإلى أين يتجه. كل هذه تأكيدات للعقل[٢١].

التعرف على العلاقة بين العقل والدين يستند إلى معرفة الله تعالى وخالق الكون. بلا شك، العقل هو مصباح الفهم واكتساب المعرفة في هذا المسار، وبدون إشعاعه، لا يمكن الاستفادة من كتاب الله وسُنّة الأئمّة الطاهرين. يتفق جميع أهل العقل والتفكير على أهمية وجود العقل كمصباح[٢٢].

العقل والدين يجب أنْ يكونا جنبًا إلى جنب لتحقيق حياةٍ عاقلةٍ ومستنيرةٍ دينيًا، حيث يؤدّي نقص أحدهما إلى آثارٍ خطيرةٍ وخلق توتر وقلق؛ لأنّ الذين يعيشون بلا أخلاق لا يربطون أنفسهم بأيّ مبدأ أخلاقي ويضحون بكلّ شيء في مذلة حب الدنيا. في مواجهة الدين والدنيا، يسهل على بعضهم الوصول إلى الدين بسهولة وأحيانًا يستخدمونه كأداةٍ لتحقيق المطامع المادية والشهوانية بالتزوير والخداع. الحياة الدينية تحصل على معنى إلى جانب العقل، حيث يجب على الإنسان دائمًا العمل بناءً على معايير الإسلام، وعدم وجود العقل في الحياة يعني عدم الوجود.

٢-٢. جامع الدين والدنيا: الحياة الطيّبة التي تظهر في ظل الإيمان والعمل الصالح تعدّ واحدةً من خصائص تنظيم حياة الإنسان في الدنيا والآخرة. قد يظنّ بعض الأشخاص أنّ الإيمان والتقوى

هما فقط لبناء بيت في الآخرة وراحة بعد الموت، وأنّ الأعمال الصالحة تعدّ مجرد وسيلةٍ للوصول إلى دار الآخرة. ولكن من بين مهمات الأنبياء كانت رفع مستوى حياتهم المادية. وفقًا للآيات القرآنية وأقوال أهل البيت ﷺ، يتم التركيز على الدنيا والآخرة توأمان، ولا يمكن نفي أحدهما على حساب الآخر. كما هو الواضح في سورة القصص: ﴿ **وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ** ﴾[٢٣].

الحياة الطيبة يمكن تحقيقها من خلال الاستفادة والإستمتاع من نعم الله، ومن الواقع أنّ حرمان الإنسان نفسه من طيبات ما رزقه الله سبحانه لا يُقبل بأيّ حالٍ من الأحوال. بل هو حقيقة، ويتعين على الإنسان أنْ يدرك حياته في الدنيا تمثل استعدادًا لحياته في الآخرة، وتتحقق سعادة الآخرة من خلال العمل والجهد في الدنيا. ويُظهر ذلك بأداء الأعمال الصالحة والمساعي الشريفة، ممّا يُتيح للإنسان الوصول إلى مراتب أعلى في الآخرة، كما ذُكر في قول أمير المؤمنين ﷺ: "واعلموا عباد الله أنّ المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا وآجل الآخرة، فشاركوا أهلَ الدنيا في دنياهم، ولم يُشارِكهم أَهلُ الدنيا فِي آخرتهم"[٢٤].

وقد أشار الله تعالى فى سورة المائدة الى نعمه بقوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ** ﴾[٢٥]. تشير هذه الآية الشريفة إلى أنّ أهل الكتاب، لو اتبعوا الحقيقة المتعلقة بالكتاب وبرامج السماء، وقاموا بعقائدهم وسلوكهم وفقًا لذلك، لكان الله قد جعلهم أغنياء في حياتهم الدنيا. وقد عبّر الله عن فرحهم بهذا الإحسان بجملةٍ قصيرةٍ وذات معنى في هذه الآية، ﴿ **لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ** ﴾، إذ يعبّر استعمال لفظ (الأكل) في الآية الشريفة عن التمتع والاستمتاع، سواءً كان ذلك من خلال الأكل أم بوسائل أخرى. وفي هذه الآية، يتم استخدام ﴿ **مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ** ﴾ بشكل عام للدلالة على السماء والأرض؛ لذا في هذه الآية الشريفة، بدلًا من أنْ تقول إنّ أهل الكتاب كانوا سيصبحون متمتعين بنعمٍ سمائيةٍ وأرضيةٍ إذا اتبعوا الأوامر التي كانوا يحملونها، عبّرت بالكناية عن ذلك بالقول إنّهم سيأكلون من فوق رؤوسهم ومن تحت أقدامهم[٢٦]. في تفسير القمي، تُفَسَّر عبارة (مِن فَوْقِهِم) بالأمطار، وعبارة (مِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم) بالزرع.[٢٧]

بناءً على ذلك، يؤدّي الإيمان والعمل الصالح إلى رفاهية وازدهار المجتمع، بينما الكفر والعصيان يؤديان إلى الانهيار والزوال؛ لذلك، إذا ألتزمنا بتنسيق حياتنا مع الآيات القرآنية وعملنا وفقًا لمشيئة الله، فإنّنا نجعل حياتنا تكون حياةً طيّبةً ونقيةً ورفيعة الجودة.

٣-٢. نعمة باقية ونور الهداية: حياةٌ طيّبةٌ نعمةٌ دائمةٌ لا تنتهي ولاتزول، ولذةٌ صافيةٌ بلا ألمٍ أو انزعاج. إنّها حياةٌ كاملةٌ لا يمكن اختراقها بالدنس أو القذارة أو الفساد. يقول الله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ** ﴾[٢٨].

رجال ونساء المؤمنين بالحياة الطيّبة التي عاشوها لأنفسهم، اشتروا نور الخلود وأعدوا لأنفسهم في هذه الحياة الهادئة التي تنسجم مع داخلهم، وبصبرهم وتحملهم، صنعوا لأنفسهم الخلود والفوز العظيم في الآخرة من ثمرات العيش الطيب وحياة طيّبة، قلبهم مطمئن وهادئ في هذا العالم المليء بالصعوبات والحرية من الظلمات في بركان الإيمان. إنّ هذه النورانية تنمو وتتطور في قلب الحياة الطيّبة. إنّ هذه النورانية، التي يسلكها الإنسان، هي الطريق إلى التقدم. قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾[٢٩].

قوله تعالى في آية أخرى: ﴿ **أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾[٣٠].

ويقول لإمام السجاد عليه السلام في دعائه: "اللهم هب لي نورًا أمشي به في الناس"[٣١]، أي اللهم انعمني بنورٍ يمكنني من التحرك والسير بين الناس.

٤. طرق الوصول إلى الحياة الطيبة

الأنبياء والأئمّة الإلهيين، الذين يُعَدون أفضل مثالًا للإنسان الكامل، هم الذين تمتعوا بأعلى مراتب القدسية ويحظون بمرتبةٍ شامخةٍ من روح القدس؛ إذ تُعَدُّ روحهم فعلًا محضًا وفقًا لهذه القاعدة، قاموا بتحقيق أعلى مستوى من الحياة الطيّبة. وبفضل هذه الدرجة من الروح وهذه المرتبة من الحياة، احتوت معارفهم العلمية على جميع ذرات العالم، وتكشفت جميع الحقائق في رؤيتهم.

الإمام الخميني يقول: "بالنسبة للأنبياء والأوصياء، هناك موقفٌ شامخٌ من الروحانية، ويُقال عنها إنّها من روح القدس، وتحظى بتلك المناصب بتحيز علمي يحيط بكلّ جزء من كائنات الكون. وفي هذه الروح، لا يوجد مجال للغفلة أو النوم أو الإهمال أو النسيان أو أي عيوب ملكية أخرى، بل هي منفصلة عن العالم الغيبي ومعزولة عن الجبروت الأعظم"[٣٢].

أعلى درجات الحياة الطيّبة تكمن في الإنسان الكامل الذي هو بذاته كلمة (طيّبة)، هو تكوين إلهي. الإنسان الكامل هو حيٌّ متصلٌ بالله وقد تمت إحاطته بالفعل النقي، وقد حاز على أعلى المراتب الروحية حيث تكون الروح القدس. جميع البشر يحملون حياةً مشتقةً من هذا النفخ ﴿ **ونفختُ فيه من رُوحي** ﴾ وهي متكئة على هذه الحياة. المؤمن، على طول الخلود، يستند إلى روح تصديق ومؤيد ﴿ **أيّدهمْ برُوحٍ منه** ﴾ وهو يتمتع بحياةٍ طيّبةٍ مستمدةٍ منها.

ومع ذلك، فإنّ المرحلة العالية والكاملة للروح، وهي الروح القدس، تم وضعها وديعة لدى للأنبياء والأئمّة من قبل الله. هذه الروح، التي لا تفصل عن وجودهم، هي حقيقة رفيعة المستوى جدًا تعطي لهم أعلى درجات الحياة الطيّبة، وتؤدّي إلى فائض البركات المتوقّع لهذه الحياة الملكوتية المرتبة[٣٣].

في الأحاديث يُذكر أنّ هناك ثلاثة أنواع من الأرواح: روح القوة، وروح الشهوة، وروح الجسم، التي تكون مشتركةً بين جميع البشر. أمّا المؤمنون، فيكونون مُزوّدين بروح الإيمان إلى جانب هذه الأرواح الثلاث، والمعصومون يستمدون من روح القدس إضافةً إلى الأرواح الأربع السابقة.

يؤدّي المعصومون بفضل روح الإيمان عبادة الله ولا يشركون به، وبفضل روح القوة يجاهدون أعداءهم ويتدبّرون في قضية معاشهم، وبفضل روح الشهوة يستمتعون بطعامٍ لذيذ، وبفضل روح الجسم يتحرّكون. يمكن أنْ تكون هذه الأحاديث معقّدة، إلا أنّها تعتمد على روح القدس[٣٤].

روح الإيمان هي روح السكينة التي ينزلها الله في قلوب الذين يؤمنون به، ليدعمهم ويحميهم بذلك. وفيما يلي أهم السبل لتحقيق الحياة الطيبة، حيث يتم تهيئة البيئة لتنمية الفضائل الأخلاقية والوصول إلى الحياة النقية، ممّا يقرب الإنسان تدريجيًا إلى الله.

١-٣. معرفة النفس: تصحيح العلاقة بين الإنسان ونفسه وواجباته في هذا السياق لا يكون ذا أهميةٍ كبيرةٍ فقط، بل يكون له تأثير أيضًا في تصحيح العلاقات مع الآخرين. معرفة النفس أو فهم الذات يعدّ الواجب الأول للإنسان في تفاعله مع نفسه. يجب على الإنسان أنْ يقوم بفحص نفسه من جوانب متعددة للوصول إلى فهمٍ صحيحٍ لها ومن ثم تحديد موقفه في عالم الكيان وتعامله مع الأخرين. وبهذه الطريقة يتعرف على وضعه بالنسبة لخالقه ويدرك إمكانياته وكيفية تكوين وجوده وعلاقتها ببعضها، بالإضافة إلى معرفة توجهاته ورغباته ونقاط قوته وضعفه وعجزه. في هذا السياق، يأخذ الإنسان فهمًا شاملًا لنفسه يعمل على بناء العلاقات بشكلٍ صحيح مع الله ومع الآخرين. وفي مدى أهمية الوعي بالذات، يقول الإمام علي: "مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ"(٣٥).

القرآن الكريم يدعو الإنسان إلى التأمل في آيات الله في ذاته؛ لأنّه يعدّ أقرب الكائنات إلى الإنسان. ومن جهة أخرى، تكون آيات قوة وحكمة الله في خلق الإنسان أكثر وضوحًا بالنسبة له من غيرها من الآيات الإلهية. ﴿**فِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ**﴾(٣٦).

التعرف على النفس يساعد الإنسان على الوعي بموقفه في عالم الكائنات وقدراته وكراماته، وعلى النعم والإمكانيات التي وهبها الله له. يمكن للإنسان، كأعلى مخلوق على وجه الأرض ووارث الله، استعادة مكانته الرفيعة والخاصة به من خلال اتخاذ المسار الصحيح للاستفادة من الإمكانيات والحفاظ على كرامته. الإنسان هو أعلى المخلوقات ووارث الله في الأرض، وتتيح قدرته الوجودية له أنْ يكون قائدًا للملائكة ويأمر بهم بالسجود لآدم، ويعلمهم جميع الأسماء. الإنسان، بألف عين وأذن، إلخ، التي وهبها الله لفهم العالم، يجد كرامته وتأهبه للقتال ضد جهله عند خروجه من رحم أمه، ويكون جاهزًا لذلك وفق ما قال الله تعالى: ﴿**وَاللهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾(٣٧).

الإنسان، مهما كان مبدعًا وكانت الوسائل متاحة له توفرًا، لا يمكنه إنكار حقيقة أنّه ليس سيدًا لنفسه، ولا يمتلك استقلالًا في تدبير حياته. لو كان ذلك ممكنًا، لكان قادرًا على تجنب الموت والآلام والمحن الأخرى في الحياة، وإذا كان مستقلًا في تدبير حياته، لم يكن بحاجة إلى الخضوع لإرادة الله في

مقام الخالق؛ لذلك، يكتب الفقر والاحتياج فوق جبين الإنسان، وهو حقيقة يعترف بها كل إنسان، بغض النظر عن مستواه العلمي أو العمري؛ ولذلك، يرى الإنسان في كلّ مرحلةٍ من مراحل حياته بوضوح أنّ لديه مالكًا ومدبرًا وخالقًا، حتى لو لم يكن يروج إلى الله، إلا أنّه يشعر بحاجته الأساسية بوضوح. لذلك، معنى الآية الشريفة هو أننا جعلنا الإنسان على علم بحاجته واعترافه بربوبيتنا[٣٨].

٢-٣. الإيمان والعمل الصالح: إحدى الطرق الرئيسة لنيل الإنسان الحياة الطيّبة هو الإيمان والعمل الصالح. يقول الله تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[٣٩]. إذ تصّرح هذه الآية الشريفة بوضوح أنّ الحياة الطيّبة تعتمد على الإيمان والعمل الصالح، وهما من الجوانب الرئيسة والأساسية للحياة الروحية والطيّبة. نعم، الله هو مصدر الحياة، ولكن الله تعالى ينعش هذه الحياة للمؤمنين الذين يعملون الأعمال الصالحة. ﴿**فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً**﴾. يقول الإمام علي: "بالإيمان يُرتقى إلى ذروة السعادة ونهاية الحبور"[٤٠].

الإيمان والعمل الصالح هما شرطان أساسيان للوصول إلى الكمال والاستمتاع بالحياة الطيّبة. يمكن لمجموعةٍ جيدةٍ من الفعل الذي يأتي من إيمانٍ متيقنٍ ونفسٍ مؤمنةٍ بالمعارف الإلهية، وفعلٍ جيدٍ يتناسب مع التوجيهات الوحيية والرسالية، أنْ تكون مفتاحًا للإنسان لتحقيق الحياة الطيّبة[٤١].

بعبارةٍ أخرى: هناك شرطان ضروريان للوصول إلى الحياة الطيّبة، أحدهما حسن الفعل، والآخر حسن الفاعل. إذا كان لدى شخص إيمان، أي إنّه مقتنع ومؤمن بالمبدأ والمعاد، فإنّه يكون مؤهلًا للتمتع بالحياة الطيّبة. الإيمان هو المنبع والأساس للعمل، حيث يكون الإيمان مثل جذر شجرة قوية في إسلامه، والعمل الصالح هو ثمرته وفاكهته؛ لذا يكون الإيمان والعمل الصالحان ضروريين ومترابطين مع بعضهما البعض. وما يُهيئ الأرضية لتحقيق الحياة الطيّبة هو وجود نفسٍ نقيةٍ والقيام بالأعمال الصالحة[٤٢].

يقول الإمام علي ﷺ في معنى الإيمان: "الإيمان معرفةٌ بالقلب، وإقرارٌ باللسان، وعملٌ بالأركان"[٤٣]. وبناءً على هذا التعريف للإيمان، يكون للإيمان ركنان، الركن الأول في الجانب المعرفي والعقائدي، والثاني في

الجانب العملي، حيث إنّ القول أيضًا يعدّ جزءًا من العمل.

الله تعالى يتحدث عن العواقب الدنيوية للأعمال في القرآن الكريم: ﴿**لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ**﴾[٤٤].

في هذه الآية الكريمة والعديد من الآيات الأخرى، يُشدد على أنّ الإيمان والأعمال الصالحة يتداخلان ويتشابكان معًا، ويخلقان الظروف لتحقيق حياة طيّبة. يعدّ القرآن الكريم السعادة والحياة الطيّبة في إطار مجموعة الإيمان والأعمال الصالحة. المقصود من (الإيمان) هو الإيمان بذات الربوبية القدسية، إذ يعني الإيمان به يعني الإيمان بجميع حقائق الكون. إنّ أحد أركان حياة الإنسان هو أنْ يكون مؤمنًا بأصل، وأنْ يكون قائمًا على الحقيقة ويعتقد فيها، ويكون مطيعًا لها ويستسلم لها، ويظهر الالتزام بها والتفاني والتضحية من أجلها. يكون الأمر الذي يكون محل إعجاب واعتقاد الإنسان فوق جميع القدسيات وجميع الأمور الرفيعة بحيث يكون الإيمان به شاملًا للإيمان بجميع حقائق الحياة.

الركن الثاني أيضًا سيكون عملًا صالحًا، نقيًا، وصافًا لروح الإنسان، إذ إنّ للإنسان روحًا وجسمًا وقلبًا، والإيمان يجب أنْ يكون ثابتًا في منطقة الروح والقلب. يجب أنْ يكون للإنسان الثقة والإيمان في هذه المناطق وألا يكون متحيرًا أو مرتبكًا، مما يجعل الروح تكون صالحة.

فسعادة الإنسان تكمن في الركينين الإيمان والأعمال الصالحة. الإيمان بأقدس وأعلى الحقائق، الذي يتضمن الإيمان بالكائن الواحد الذي هو مصدر المعرفة والقوة والنظام والحكمة والحياة والسعادة. وكذلك العمل الصالح واللائق والنافع الذي يكمل الإنسان ويدعمه ويؤدي إلى تحقيق تأثيراتٍ إيجابيةٍ وجيدة.

إنّ العديد من الروايات تشهد لهذا الأمر، أنّه للوصول إلى الحياة الطيّبة يجب أن يكون الإيمان والعمل الصالح مقترنين معًا ليصبحا مفيدين: "الإيمان والعمل إخوان توأمان ورفيقان لا يفترقان، لا يقبل الله أحدهما إلا بصاحبه"[٤٥]. إنّ الإيمان والعمل يحملان بعضهما البعض، وهما رفيقان لا ينفصلان أبدًا، ولا يقبل الله أحدهما بدون الآخر.

ملخّص الكلام هو أنَّ الإيمان يظهر ثماره عندما يترتب عليه عمل صالح. وفي أهمية العمل، يجب أنْ يعرف أنّه من وجهة نظر القرآن الكريم، يُثمِر العمل الصالح في رفعه و صعوده إلى السماء: ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ**﴾[٤٦].

القرآن الكريم، في العديد من الآيات، يصف نتائج الإيمان والعمل الصالح بأنّها الفرار من الظلمات إلى النور، والدخول الجنة، والمأوى في جنان الجنة، ومكافأة غير محدودة. وتلك المكافأة غير المحدودة تتمثل في حياةٍ طيّبةٍ ودائمة؛ لذا، ما يجعل فضل الله ورحمته تعالى تُمنح لعباده الصالحين بلا جدارة هو إيمانهم وأعمالهم الصالحة.

٣-٣. الصلاة: أفضل العمل الصالح عند الله والأنبياء وأولياء الله هو الصلاة، وقد تم توجيه الأمر بأداء الصلاة وحفظها في جميع الأوقات، وقد تم تعريف الصلاة كأفضل الأعمال وعماد الدين. فيما بين العبادات والطقوس الإلهية، تكتسي الصلاة طابعًا جامعًا وعبوديًا، وتعدّ وسيلةً لصعود الإنسان إلى أعلى مراتب الكمال الإنساني.

يجدر بالذكر أنّ الحياة الطيّبة في حد ذاتها تحمل درجاتٍ ومراتب، وكلّما زاد إيمان الإنسان وأعماله الصالحة، زادت حياته الطيّبة من وجود وتعقيد، وزادت مراتبها وتفوقها الروحي. في الواقع، تتمتع الحياة الحقيقية للإنسان بمراتب وعمق، وقد تم وضع هذه المراتب بشكلٍ ثابتٍ في جوهر الإنسان وتزيينها بجوهر الدين. ومن خلال تحقيق درجات ومستويات الدين، تزهر القدرات الفريدة للإنسان نحو تحقيق أعلى مراتب الحياة.

جاء في حديثٍ منقولٍ عن أمير المؤمنين عليه السلام: "الصلاة قُربان كل تقي". (مجلسي، ج ٢٠، ص ٣٠٣). في هذا السياق، تُعد الصلاة وسيلة للتقرب إلى الله والاقتراب منه، ووسيلة للتحلي بالتقوى والتورع. تحول الصلاة إلى حاجز يحمي الإنسان ويبتعدها من الفحشاء والمنكرات والأعمال القبيحة والمذمومة، ويُشدد على أنّ الصلاة التي لا تحفظ الإنسان من الفحشاء، أو لا تمنعه منها، أقلّ قيمةً من عدم أدائها.

فالصلاة هي العمل الأهم للوصول إلى حياة طيّبة وسعادة في الدنيا والآخرة. لهذا السبب، كان للرسول الأكرم والأئمة المعصومين اهتمام كبير بالصلاة، وكانت الصلاة هي أغلى وأحب الأعمال إليهم. وفقًا للتعبير النبوي، تنتزع الصلاة الذنوب كما تنسلخ أوراق الخريف، وتفتح قيد الذنوب مثل الأطواق والزنازين.

وفي تشبيه النبي صلى الله عليه وآله للصلاة، قال إنّها مثل ينابيع الماء الدافئة، حيث إذا غمر الإنسان وجهه بها خمس مرات في اليوم، فإنّه لن يترك أي أثر من الأوساخ والشوائب على جسده، وسيبقى جسده نقيًا وخاليًا من الأوساخ وستبقى حياته الطيّبة خالية من النجاسة.

٤-٣. التقوى: للوصول إلى الحياة الطيّبة الإنسان بحاجة إلى أنْ يكون متّسمًا بالتقوى، حتى يحافظ على نفسه وروحه بوساطة التقوى. فيما يتعلق بالتقوى، يقول الإمام الصادق ﷺ: "أنْ لايَفْقِدَكَ اللهُ حَيْثُ اَمَرَكَ، وَلايَراكَ حَيْثُ نَهاك"(٤٧)

هذه الجملة تظهر أهمية وجود التقوى في جميع جوانب الحياة، إذ يجب على الإنسان أنْ يلتزم بأوامر الله في كل مكان وزمان، وأنْ يتجنب ما نهى الله عنه. التقوى تعني الامتثال لأوامر الله وتجنب النواهي الإلهية، وهي أساس للحفاظ على نقاء النفس والروح.

جاء فى قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾(٤٨).

مصطلح الفرقان يعبّر عن شيء يفرق بين اثنين، وفي هذه الآية يشير إلى السياق الذي يرتبط بالتقوى كوسيلة للتفريق بين الحق والباطل سواء في المعتقدات أم في الأعمال. في المعتقدات، يتعلق (الفرقان) بفصل الإيمان والهداية عن الكفر والضلال، وفي الأعمال، يرتبط بتفريق بين الطاعة وأيّ عملٍ يحظى برضا الله عنه وبين المعصية وأيّ عملٍ يؤدي إلى سخطه. الفرقان ينطبق أيضًا على التمييز بين الفكر السليم والفكر الباطل في الآراء والأفكار. هذه الجوانب كلّها تعد ثمرةً ونتيجةً تنمو من شجرة التقوى(٤٩).

إنّ هذه الآية تسلط على أهمية التقوى وآثارها في مصير الإنسان. الفرقان هو شيء يفصل الحق عن الباطل بشكل جيد، وقوة عقل الإنسان تكون كافيةً لفهم الحقائق. ومع ذلك، تظهر أوتار من الطمع والشهوة والحسد والعشق الزائد للمال والنساء والجاه والمكان، مثل سحابة سوداء أمام عين العقل، أو كغبارٍ كثيفٍ يغطي المحيط المحيط. ويظهر أنّه في هذا البيئة المظلمة، يصعب على الإنسان رؤية وجوه الحق والباطل، ولكن إذا تم تنظيف هذا الغبار بوساطة ماء التقوى، يتم إزالة هذه السحابة السوداء والظلام، ممّا يجعل رؤية وجه الحق سهلة، ويجلب حياة نقية ونقية. على مر العصور، نرى رؤى واضحة للرجال والنساء الزاهدين الرشيدين الذين استطاعوا رؤية الكثير من الأحداث التي لم يكن بإمكان العقل العادي فهمها. إنّهم رأوا الوجوه الشيطانية لأعداء الحق من خلال الستائر اللبنة، وحصلوا على هذا الفرقان نتيجة لتحصيل التقوى. هذا التأثير العجيب للتقوى تم ذكره في العديد من الآيات والروايات؛ لذا فالإنسان الذي يفتقر إلى التقوى يصبح جلبة لفقدان التمييز أو سوء التمييز، وتتحول حياته إلى حياة خبيثة(٥٠) .

النتائج

١. إنّ الحياة الطيّبة التي تحدث عنها القرآن الكريم، لا تعني أنّ الحياة الإنسان قد تغيرت من الحياة الخبيثة إلى الحياة الطيّبة، أو تغيّرت صفة من صفاتها، بل هي حياةٌ جديدةٌ تُهديها الله للإنسان.

٢. عنوان وتسمية (حياة طيّبة) لا تكون مجازية، بل هي عنوان حقيقي؛ نظرًا لأنّ آثارها هي آثار حقيقية

٣. هذه الحياة الجديدة والخاصة، ليست منفصلةً عن الحياة العادية التي يشترك الجميع فيها، وعلى الرغم من أنّها لها طبيعة مختلفة، إلّا أنّها مصاحبة لها. إذًا، صاحب الحياة الطيّبة يتمتع بحياة العادية التي تكون لها تأثيرات أكثر قوةً ووضوحًا.

٤. حياة طيّبة تكون مختصّةً فقط بالأفراد الذين يتحصلون عليها من خلال العمل الصالح المستند إلى الإيمان به، ولا يكون هناك طريقٌ للآخرين للوصول إليها.

٥. الحياة الطيّبة تتجلى في هذا العالم، ويمكن للإنسان أنْ يحقّقها في العالم المادي أنْ يجعل حياته الدنيوية خاليةً من أي شوائب أو تلوث وتزينها بالحياة الطيّبة من خلال الاعتماد على الإيمان بالوجود الحقيقي (الإيمان)، وكذلك السلوك الصالح (العمل الصالح).

٦. من وجهة نظر القرآن الكريم، يتحقق الوصول إلى الحياة الطيّبة عن طريق الالتزام بمسار الإيمان بمعناه العقائدي والعملي، وتحقيق نتائج عملية للإيمان من خلال العمل الصالح.

٧. بناءً على الروايات المتعددة التي نقلها الأئمّة، يكون الإيمان مستندًا على ثلاثة أسس رئيسة: المعرفة بالقلب والاعتراف باللسان والعمل بالأركان.

الهوامش

١- الشريف الرضي، نهج البلاغة، حكمة ٢٢٩؛ الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ١٢/ ٤٩١- ٤٩٣؛ المكارم الشيرازي، ناصر، تفسير الأمثل، ٢/ ٣٩٤؛ چراغي، ١٣٩٠، ١٥

٢- الطباطبائي، محمد حسين، الميزان فى تفسير القرآن، ١٢/ ٤١٩.

٣- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ١٤/ ٢١١؛ الراغب الأصفهاني، حسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن، ١/ ١٦٨؛ الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، ١/ ٤١١.

٤- قرشي، علي أكبر، قاموس القرآن، ٥/ ٢١٣.

٥- التوحيدي، أبو حيّان، المقابسات، ٣١٤.

٦- السجادي، سيد جعفر، فهرس المصطلحات الفلسفية لملّا صدرا، ٣٢٠.

٧- الطباطبائي، محمد حسين، الميزان، ١٠/ ٥١.

٨- جعفري، محمد تقي، تفسير نهج البلاغة، ١٣/ ١٠٥.

٩- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ١/ ٥٦٣.

١٠- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ٣/ ٤٣٨؛ مصطفوى، حسن، التحقيق فى كلمات القرآن الكريم، ٧/ ١٥٧؛ قرشي، قاموس القرآن، ٥/ ١٥.

١١- الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان، ٧/ ٧٣٤؛ الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ٧/ ٤٦٧.

١٢- الأنفال/ ٢٤.

١٣- مطهري، مرتضى، مجموعة الآثار، ٢٥/ ٤٤٩.

١٤- النحل/ ٩٧.

١٥- المجادلة/ ٢٢.

١٦- الطباطبائي، محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ١٢/ ٤٩٢.

١٧- الأنعام/ ٢٢.

١٨- النحل/ ٩٧.

١٩- الرعد/ ٢٩.

٢٠- مكارم الشيرازى، ناصر، تفسير الأمثل، ١١/ ٥٦.

٢١- الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي،١/ ٢٥.

٢٢- جوادي الآملي، عبدالله، تفسير الموضوعى، ٢٠٤.

٢٣- القصص/ ٧٧.

٢٤- نهج البلاغة، كتاب ٢٧.

٢٥- المائدة/ ٦٦.

٢٦- الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن،٢/ ٣٣٥.

٢٧- القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي،١/ ١٧١.
٢٨- إبراهيم/ ٢٤.
٢٩- الحديد/ ٢٨.
٣٠- الأنعام/ ١٢٢.
٣١- الصحيفة السجادية دعاء ٢٢.
٣٢- الخميني، روح الله، شرح أربعين حديث،٥٤٨.
٣٣- جوادي الآملي، عبدالله، تسنيم، ١١/ ١٦٥؛ الحسيني الطهراني، امام شناسى، ١٦/ ٢٥.
٣٤- الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ٢/ ٢٨١.
٣٥- الليثي الواسطي، على بن محمد، عيون الحكم والمواعظ، ٤٣٠.
٣٦- الذاريات/ ٢٢٠-٢١.
٣٧- النحل/ ٧٨.
٣٨- الطباطبائي، محمد حسين، الميزان، ١٢/ ٣٠٧.
٣٩- النحل/ ٩٧.
٤٠- آمدي، عبد الواحد، غرر الحكم و درر الكلم، ١/ ١٣٠.
٤١- الطباطبائي، محمدحسين، الميزان ، ١٢/ ٦٤.
٤٢- جوادي الآملي، عبدالله، تسنيم، ١١/ ١٨٧.
٤٣- نهج البلاغة، الحكمة ٢٢٧.
٤٤- الروم/ ٤٥.
٤٥- الآمدي، عبد الواحد بن محمد، غرر الحكم ودرر الكلم، ١/ ١٢٧.
٤٦- الفاطر/ ١٠.
٤٧- المجلسي محمد باقر، بحار الانوار، ٦٧/ ٢٨٥.
٤٨- الأنفال/ ٢٩.
٤٩- الطباطبائي، محمد حسين، الميزان، ٩/ ٧١.
٥٠- مكارم الشيرازي، ناصر، تفسير الأمثل، ٧/ ١٤٢-١٤٣.

المصادر والمراجع

القرآن كريم

* نهج البلاغة

* الصحيفة سجادية

* ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار الإحياء التراث العربي،١٤٠٨.

* آمدي، عبد الواحد، غرر الحكم ودرر الكلم، طهران، دفتر نشر فرهنگ اسلامی، ١٣٧٨ ش.

* التوحيدي، أبو حيان، المقابسات، تحقيق: حسن سندوبي، مصر، المكتبة التجارية، ١٩٢٩م.

* الجعفری، محمد تقی، ترجمه وتفسير نهج البلاغه، طهران، دفتر نشر فرهنگ اسلامی، ١٣٧٦ ش.

* الجوادی الآملی، عبد الله، تفسير موضوعی قرآن كريم، قم، اسراء، ١٣٧٨.

* الحسينی الطهراني، محمد حسين، امام شناسی، مشهد، نشر علامه طباطبائی،١٤٠٤ق

* الخمينی، سيد روح الله، شرح اربعين حديث، طهران، موسسه تنظيم و نشر آثار امام خمينی، ١٣٩٠.

* راغب الأصفهاني، حسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن، بيروت، دارالعلم،١٤١٢.

* السجادی، سيد جعفر، فرهنگ اصطلاحات فلسفی ملا صدرا، طهران، انتشارات وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامی، ١٣٧٩ش.

* الطباطبائی، السيد محمد حسين، الميزان فی تفسير القرآن، قم، دفتر انتشارات اسلامی جامعه المدرسين، ١٣٧٩.

* القرشی، سيد علی اكبر، قاموس قرآن، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٧٢ش.

* القمی، علی بن إبراهيم، تفسير القمی، تصحيح وتقديم: جزايری، طيب، قم، دارالكتاب، ١٣٧٩.

* الكلينی، محمد بن يعقوب، الكافي، الجزء: ٤، تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة: الخامسة، طهران، الناشر: دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٣ ش.

* المصطفوی، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، طهران، الناشر: بنگاه ترجمه و نشر كتاب، ١٣٤٠.

* المطهری، مرتضی، مجموعه آثار، طهران، الناشر: صدرا، ١٣٨٨ ش.

* المكارم الشيرازی، ناصر، تفسير الأمثل، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٧٢ش.

* واسطی، علی بن محمد ليثي، عيون الحكم والمواعظ، تحقيق: حسين حسنی بيرجندی، قم، موسسه فرهنگی دارالحديث،١٣٧٤.